

الجيش الفرعونى مفخرة مصر القديمة

بقلم

د/أيمن وهبى طاهر

أستاذ مساعد بقسم الآثار المصرية

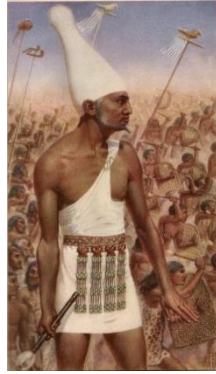
كلية الآداب - جامعة المنصورة

د/هالة محمود خلف

أستاذ تاريخ مصر القديم المساعد

كلية التربية - جامعة عين شمس

إذا حق لمصر القديمة أن تتيه زهواً بأهراماتها ومعابدها وفنونها وعلومها فلها أن تزهو ايضاً بنفس القدر بجيشها الذى علم العالم فنون القتال والحرب التى كانت غايتها السلام ، فالجيش المصرى منذ نشأته منذ ستة آلاف عام اعتنق عقيدة الحرب من أجل السلام ، الحرب من أجل الدفاع عن الأرض والعرض ، الحرب من أجل درأ المخاطر ولم يكن جيشها استعمارياً أو مستتبداً.



(صورة تخيلية للملك مينا أول من وحد شمال وجنوب مصر)

نقرأ فى كتابات ونى أحد أكبر القادة العسكريين الذين عرفهم التاريخ الفرعونى فى الأسرة السادسة أن الجيش كان يضم كل أبناء وطوائف الشعب وكان جيشاً نظامياً بمعنى الكلمة وكان يركز على الأخلاق الحميدة والسماة الفروسية فلم يكن يسمح له ان يغتصب أرضاً أو يقتل طفلاً أو

امراً أو شيخاً ولا يدمر زرعاً في طريقه للحرب وكان فقط يحارب من اعتدى علي أرضه وهدد سلمه وسلامته.

تزرخ المؤسسة العسكرية في مصر القديمة بالعديد من البطولات والنماذج المشرفة نبدأها مع الملك مينا الذي قضى على الفوضى ووحّد قطرى البلاد الصعيد والدلتا ثم تلاه الملك منتوحتب الثانى الذى قضى على الحرب الأهلية التى نشبت فى أعقاب ثورة إجتماعية عارمة فى الأسرة السابعة والثامنة واستطاع هذا القائد أن يوأد الفتنة ويسترد مصر الموحدة وقد حرص هذا القائد على أن يكرم من ضحى من أجله فى هذه الحرب من جنود بواسل فنراه يأمر بدفنهم مع عتادهم وعدتهم إلى جوار مقبرته ومعبد الجنازى الذى أقامه فى الدير البحرى ليكونوا فى معيته فى العالم الآخر كما خدموا معه فى حياتهم وضحوا بها من أجله.



(منتوحتب الثانى ثان موحد للقطرين)

وهناك دفنة مشابهة لمجموعة من الجنود بكامل عدتهم وأسلحتهم دفوا فى مقبرة جماعية عثر عليها حديثاً فى منطقة المعلا بالقرب من إسنا يرجح أنهم من طليعة الجنود الين ناضلوا لوأد الفتنة بين الشمال والجنوب فى فترة الأسرة التاسعة والعاشره فيما عرف باسم الصراع الطيبى الأهناسى.



(كتيبة من الجيش المصرى من المشاة-ماكت خشب-المتحف المصرى بالقاهرة)

وقدم ابناء مصر من جنودها وقادتها ونساءها تضحيات غالية فى كفاحهم ضد الغزاة الهكسوس فقد قام الجنود بتطوير العجلة الحربية التى كانت وراء تفوق الهكسوس واستطاع المصريون بذكائهم أن يجعلوها أخف وزناً وأسرع من العجلة الحربية التى استعملها الهكسوس وتدريبوا على ركوب الخيل استطاعوا من خلال ذلك أن يهزموا عدوهم بنفس السلاح الذى تفوق به عليهم.



(صورة تخيلية للعجلة الحربية)

وكانت نساء مصر من أمثال تتى شرى وإياح حتب وأحمس نفرتارى يقمن بدور الشئون المعنوية للجيش فاستطعن أن يرفعن من الروح المعنوية لدى الجنود وحفزهم على التدريب وعاد الجنود

الفارين وانخرطوا فى التدريبات وظهر لديهم خطط جديدة منها المهاجمة براً ونهراً عن طريق الخيل والعجلات الحربية وعن طريق المراكب الشراعية.

وتجدر الإشارة هنا إلى سلاح حرس الحدود آنذاك الذى استطاع القبض على الرسول الذى أرسله الهكسوس ليسلم رسالة للنوبيين لينقضوا على مصر من الجنوب بينما يزحفوا هم عليها من الشمال ويضعوا مصر بين فكي كماشة ولكن يقظة الجنود المصريين على الحدود حالت دون وصول الرسالة .

وضرب قادة الجيش فى هذا الوقت أفضل الأمثلة على التضحية بالنفس والذات فلدينا مومياء الملك سقنن رع الثانى بها آثار ضربات الفئوس الحربية وطعنات النصال والسهام على جبهته ووجهه وسقط هذا القائد صريعاً فى ميدان المعركة ليمثل أول ملك شهيد عرفه التاريخ.

واستطاع أبنائه أن يخلصوا مصر من هذا العدو الغازى ومنهم كامس وأحمس الأول الذى طردهم شر طردة واستعاد مصر ووحدها للمرة الثالثة فى تاريخها بل وتتبعهم حتى مشارف البلاد التى قدموا منها عند منطقة شاروهين ، وقد وصف أحد القادة العسكريين ويدعى احمس بن إبانا على جدران مقبرته بمنطقة الكاب قرب إدفو مراحل الصراع بين المصريين والهكسوس وما ناله هذا القائد من مكافآت ومميزات تكريماً له ولبسالته فى القتال.



(مومياء سقنن رع أول ملك محارب شهيد وتبدو عليه ضربات السهام وفئوس القتال)

وشهدت الدولة الحديثة فى فترات الأسرة الثامنة عشر والتاسعة عشر والعشرين انجازات عسكرية وانتصارات خلدها التاريخ وعرفت هذه الفترة بعصر الإمبراطورية ، يبرز من بين الملوك العظام القائد العسكرى الفذ تحتمس الثالث الذى يسمى نابليون مصر القديمة نظرا لانتصاراته العديدة وفى مقدمتها معركة مجدو التى خاضها فى العام الأول من حكمه ضد ملوك وأمراء بلاد الشام الذين كونوا حلفا لينقضوا على مصر فما كان من هذا القائد العبقري إلا أن يجهز جيشه ويبادر بالتوجه إليهم فى عقر دارهم عند منطقة مجدو وواجهته معضله كبرى حيث كان أمامه ثلاث طرق ليصل إلى مجدو حيث يتمركز العدو فجمع مجلس الحرب وتشاور معهم أى الطرق يسلكون فقرروا سلوك أحد الطريقين السهلين بينما رأى هو أن يسلك الطريق الوعر ليفاجئ العدو وكان قراره صائبا وتحقق له النصر وتوالت انتصاراته بعد ذلك حتى وصلت لسبع عشرة انتصاراً وامتدت حدود الإمبراطورية المصرية فى عهده من الخرطوم جنوبا حتى أعلى نهري دجلة والفرات شمالاً وبلغ اتساعها ٣٢٠٠ كيلو متر.



(تحتمس الثالث أعظم قادة العالم العسكريين)

وكانت مصر على موعد مع الصدام مع أكبر قوة ظهرت فى بلاد الشام وهم الحيثيين فكان لزاما على ملك مصر أن يوقف زحفهم ويصددهم عن مصر ، ووهب الله لمصر بطلا عسكريا من الطراز الأول هو الملك رمسيس الثانى الذى لم يتوانى فى الخروج على رأس جيش يتألف من

أربعة فيالق وعسكر بهم قرب مدينة قادش التي أتخذها الحيثيون مقراً لهم ،ورغم تعرض الجيش المصرى لخديعة تمثلت فى القبض على جاسوسين إدعوا أنهم فارين من معسكر الحيثيين وأعطوا معلومات خاطئة وتعرض الجيش المصرى للحصار ولولا بسالة رمسيس الثانى واعتماده على الخطط البديلة ووصول الدعم من فيلق كان يضم الشباب لكانت الهزيمة هى النتيجة الطبيعية لهذه الحرب التى صورت بالصوت والصورة على معابد الملك رمسيس الثانى فى أبى سمبل والرامسيوم والكرنك والأقصر وأبيدوس .



(رمسيس الثانى الجنرال العسكرى قاهر الحيثيين)

بعدما تأكد النصر للملك رمسيس الثانى وجيشه طلب الملك الحيثى عقد معاهدة سلام مع مصر وعرض على الملك رمسيس الثانى أن يتزوج من إحدى بناته كزواج دبلوماسى وقبل رمسيس الصلح وضم الأميرة الحيثية إلى نساء قصره ودونت أول معاهدة سلام فى التاريخ على جدران معبد الكرنك شاهدة على أن مصر كانت تخوض الحروب وعينها على السلام .



(رمسيس الثالث قاهر شعوب البحر)



(النص الحيثي لمعاهدة السلام مع مصر)

ويكتب الملك رمسيس الثالث صفحة ناصعة أخيرة في سجل البطولات العسكرية في مصر القديمة حينما صد هجوم شعوب البحر على مصر ، وتعد جدران معبد مدينة هابو بغرب طيبة أقدم بانوراما عسكرية عرفت البشرية حيث نرى فيها الملك على يسار الداخل للصرح الأول ينزل بالليبيين هزيمة كبرى في عام حكمه الحادى عشر ، وعلى الجدار الغربى نحو الشمال نشاهد احتفال رمسيس الثالث بانتصاره على سكان البحر الأبيض المتوسط الذين غزوا مصر براً وبحراً ، وتصور المناظر الملك يتفقد أيادى الأسرى المقطوعة ويقوم بإحصائها فى رسالة واضحة للأعداء أن من تسول له نفسه التعدى على مصر فسوف تقطع يده.

المصادر

- أنا رويز: روح مصر القديمة, ترجمة إكرام يوسف, القاهرة , مكتبة الأسرة ٢٠٠٦.
- محمد بيومي مهران: الحضارة المصرية القديمة ' الآداب والعلوم ' الأسكندرية ١٩٨٩
- ألن شورتر ، الحياة اليومية في مصر القديمة ، ترجمة نجيب ميخائيل ، القاهرة ١٩٥٦
- أنا رويز: روح مصر القديمة, ترجمة إكرام يوسف, القاهرة , مكتبة الأسرة ٢٠٠٦.
- أدولف إرمان ' هرمان رانكه : مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ' ترجمة ' عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال ' القاهرة بدون تاريخ
- عبد الرحمن زكى: الجيش فى مصر القديمة ' القاهرة ١٩٦٨

R.Partridge, Fighting Pharaohs, London 2002

Baines, J & Malek, J., Atlas of Ancient Egypt, London 1980.

Redford, D.B (ed) The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt, Oxford 2001.

Shaw, I & Nicholson, P., The Dictionary of Ancient Egypt London 1995.

Schulz, R. & Seidel, E, Egypt , The world of the Pharaohs, Konemann , cologne 1998.

Wilkinson, R.H., Reading Egyptian Art, London 1992.

Web sites

[www. Touregypt.net](http://www.Touregypt.net)

[www. Egyptology.com](http://www.Egyptology.com)

[www. ITANA.net](http://www.ITANA.net)

[www. Thebritishmuseum.ac.uk](http://www.Thebritishmuseum.ac.uk)

[www. Egyptsites.co.uk](http://www.Egyptsites.co.uk)

<http://griffith.ashmus.ox.ac.uk>